البحث (١٢)

المسلمون

وتحديات القرن الحادي والعشرين

أ . د / عبد الرحمن محمد المراكبي

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

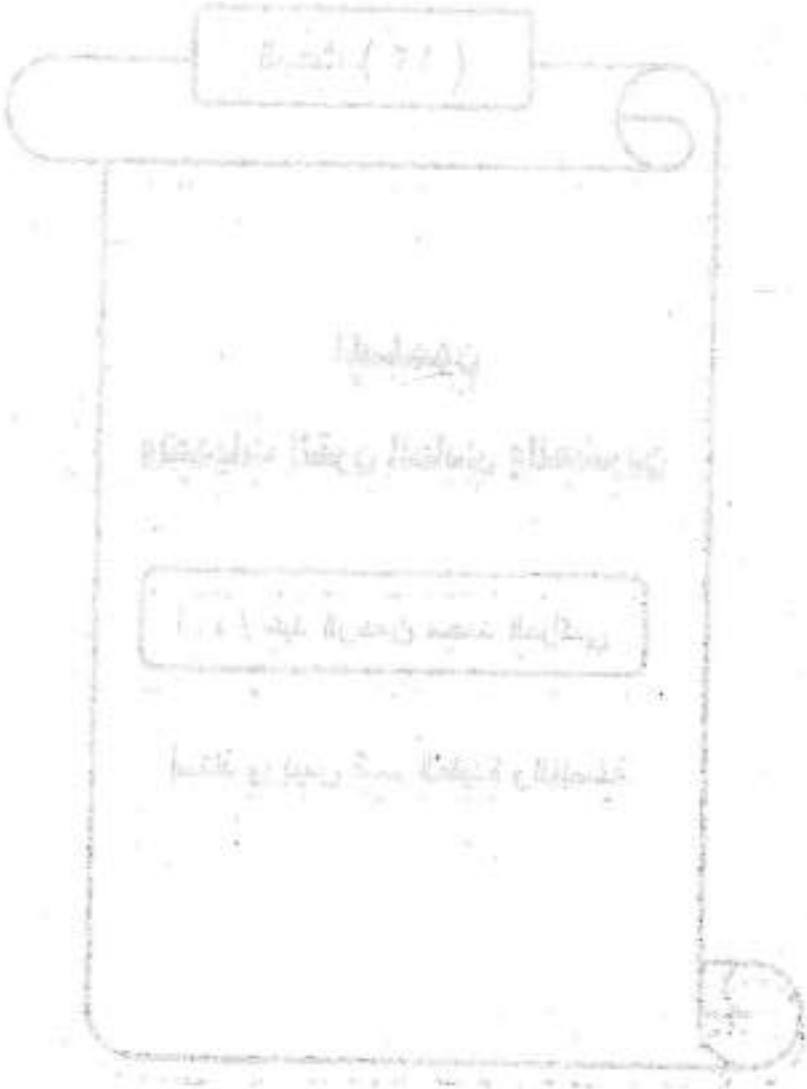

المسلمون : وتحديات القرن الحادي والعشرين

شهدت الجزيرة العربية على يد النبي العربي الأمي (محمد ابن عبد الله) صلوات الله وسلامه عليه مع بداية القرن السابع الميلادي : ثورة دينية ، واجتماعية ، وأخلاقية قلبت موازين الحياة وغيرت نمط العيش فيها .

كما شهدت الدولة الإسلامية التى أرسي قواعدها هذا النبي الكريم بُعَيْدَ قيامها : حركة فكرية وعلمية هائلة : تعانق فيها الدين والعلم ، وتآزر فيها الحق والقوة ، وتلاقت فيها الروح والمادة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً من قبل بهذه المعية ، وهذه القوة في آن معاً .

وانطلقت الدعوة ، والدولة في آن معاً من الجزيرة العربية ليحققا كل يوم نصراً في مجال الدين والعلم ، وفتحاً في مجال العقل والفكر ، وليكسبا كل يوم أرضاً في مجال الوطن والدولة . حتى حققا في زمن لم يعهده التاريخ من قبل أعظم إمبراطورية إسلامية ، وأعظم حضارة عرفها العالم ، وشهدها التاريخ وامتدت حضارة الأمة الإسلامية بجهود أبنائها وعلمائها في الزمان والمكان حتى وصلت من المحيط الهادي جنوباً إلي أواسط أوربا شمالاً ، ومن المحيط الأطلسي غرباً ، إلي الهند والصين شرقاً وانداحت حركتها في كل مكان لتحقق عالمية الإسلام ، وخيرية الأمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وآتت من ثم جناها ، وثمراتها طيبة مباركة ، وكانت خيراً وبركة ورحمة لهذا العالم جميعاً .

المواجهة :

وعلى الرغم مما نعمت به هذه الأمم من ثمرات هذا المد الإسلامي المبارك الذي كان سبباً في بعث نهضتها ، وإرواء ثقافتها وحضارتها ، إلا أنها أحست من جانب آخر بالخطر الذي يتهدد كيانها ووجودها ، وكان أول من استشعر هذا الخطر ، رؤساء هذه الأمم في الدين والسياسة حيث فقد هؤلاء سلطانهم ونفوذهم، وكان هذا المدُ على حساب رؤساء دول وأمم ، وديانات ومذاهب على رأسها اليهودية ، والنصرانية ، والشعوبية ، التى أكل الحقد قلوب رؤسائها ، وأتباعها على الإسلام والمسلمين .

أما اليهودية والشعوبية ، فلم يستطع أتباعها أن يواجهوا المسلمين يداً بيد ، أو قوة بقوة ومن ثم تحولوا إلي الكيد والدس في الإسلام ، وإلي الحيلة والوقيعة بين المسلمين . وإدخال ما ليس من الإسلام فيه لتشويه صورته ، واعتام إشراقته ، بل وإلي تزييف حقائقه وطمس معالمه .

وأما الصليبية التى كانت تحمل القوة ، فقد توجهت إلي المواجهة العنيفة والصريحة .

ويذكر التاريخ : " أن المسلمين لما فتح الله عليهم مدينة القسطنطينية (عاصمة الدولة الرومانية) وفيها مركز البابوية ، هب رجال الكنيسة ، وقد هالهم الخطب العظيم ، وأخذوا في الافتراء على الإسلام لتشويه أحكامه الإلهية – من جانب – وكان

الدافع لهم في هذه الحملة هو : الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول في دين الله أفواجاً ليصدوهم عن الإسلام " [١] .

ومن جانب آخر : حاولوا إثارة الدول الأوربية لتواجه الزحف القادم عليها من الإسلام ، تحت راية الصليب ، الذي اتخذوه شعاراً لهم في الحرب ضد الإسلام والمسلمين .

الانسحاب من خط المواجهة :

وفي الوقت الذي بدأ فيه الغرب نهضته ، بدأ فيه الشرق الإسلامي كبوته – وسارت الأمة مع الزمن وقتا طويلاً ، وهي تحمل في تضاعيف وجودها عوامل ضعفها واضمحلالها [٢] .

وظلت هذه العوامل تنخر في جسد الأمة ردحاً طويلاً من الزمن

---

(١) د : علي أبو جريشة – أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ٢٠ دار الاعتصام ١٩٧٨ م .

(٢) وكان من أهم هذه العوامل : ١ – انحراف الأمة بحكامها وشعوبها عن خط الخلافة الراشدة ومنهج الإسلام الصحيح . ٢ – التهالك على الدنيا والانشغال عن التحديات الكبري التى تواجهها . ٣ – التفكك الذي أصاب بنيان الأمة بحيث توزعت إلي دويلات هزيلة وكيانات ضعيفة منها : المغول في الهند وفارس ، والمماليك في مصر ، والأمويون في الأندلس ، والعثمانيون في تركيا وهكذا .

وهكذا تخلت الأمة عن مصادر قوتها وعزتها حين وهن سلطان الإيمان في قلوبها ونفوسها

ورغم ما أصابها – طيلة هذا الوقت – من النذر والقوارع والأحداث التى هزت كيانها هزاً عنيفاً ، واستهدفت زعزعة أمنها واستقرارها ؛ بل وهددت وجودها وبقاءها . والتي تمثلت فيما يأتي :

١ – الغزو المغولي والتتري الذي اجتاح دولة بني العباس وقضي على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ .

٢ – الغزو الصليبي الذي اجتاح البلاد الإسلامية حتى وصل إلي بيت المقدس واحتلها سنة ١٠٩٩ م .

٣ – إجلاء المسلمين عن الأندلس والفتك بهم وتنصير من أسلم من أهلها سنة ٨٩٧ هـ – ١٤٩٢ م .

برغم هذه النذر والقوارع فقد ظلت الأمة سادرة في لهوها ، غافلة عن عوامل ضعفها واضمحلالها ، وهي تعاني من انهيار كامل في سياستها ، ونظمها الإدارية ، والاجتماعية ، حتى أيقظتها جحافل الاستعمار الذي مزقها شر ممزق : أرضا ووطنا وشعبا ، وفكراً وثقافة .

ومنيت الأمة على مدي عصور الانحطاط بسلسلة من الهزائم العسكرية ، والسياسية ، والثقافية ، والنفسية دفعت بأبنائها إلي الانطواء والانسحاب من هذه المجالات جميعاً ، وانكفأت إلي الماضي تباهي به ، وتتغنى بما فيه من أمجاد المسلمين وحضارة الإسلام التى صنعها أسلافهم ، ولم يكن لهم يد فيها ، ولم تكن من صنع أيديهم ولا من بنات أفكارهم وأعمالهم .

وحينما وقعت المواجهة بينهم وبين عدوهم في القرن التاسع عشر ، وكانت الأمة تعاني من التفكك والانهيار كان الطرف الآخر هو المنتصر قطعاً ، وانتهى الأمر بالقضاء على آخر رموز الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ م واحتلال البلاد والشعوب الإسلامية .

وكان من نتيجة ذلك ما يأتي :

١ – تمزيق أشلاء الأمة الإسلامية إلى دويلات هزيلة ، وكيانات ضعيفة لتبقى السيادة للعدو عليها .

٢ – تفرق الأمة سياسياً إلى أنظمة سياسية مختلفة التوجه والنظام ، ليظل العداء بينها قائماً ، والخلاف مستمراً .

٣ – إضعاف الأمة عسكرياً حتى يظل للمستعمر النفوذ والقوة والسلطان عليها .

٤ – إضعاف الموارد المالية والاقتصادية ، والاستيلاء على أهم مواردها وثرواتها .

٥ – العمل على تفكك الروابط التاريخية بين المجتمعات الإسلامية ، وإحياء النعرات الجنسية والعرقية التى أهدرها الإسلام ، ليوهن روح الأخوة ورابطة العقيدة الإسلامية بين المسلمين .

٦ – إثارة الإحن والأحقاد والعداوات بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية وإزكاء نار الحروب بينها .

٧ – تجهيل المسلمين بدينهم وقيمهم ومبادئهم ، وتغييب وعي الأمة بتاريخها وأمجادها وحضارتها ، وذلك بتزييف الدين والتاريخ ، والتعتيم على روائع الفكر والثقافة والحضارة والدين فيها .

هذه النتائج المدمرة وغيرها كانت سبباً في تخلف الأمة ، وانشغالها بالتافه من الأمور عن التحديات الجسيمة التى تواجهها ، والأخطار المدمرة التى تحدق بها .

وانعكس اهتمامها إلي الكلام والخلاف فيما بينها حول طول اللحية ، وقصر الثوب ، وحلق الشارب وإرخاء العذبة ، بل وتبديع المسلمين ، وتكفيرهم بالتقاليد والعادات فضلاً عن العقائد والعادات وكان الغرب الصليبي – وما زال – يري في قيام هذه الأمة وفي نهضتها أعظم خطر يهدد كيانه ووجوده . وهم لا ينسون أن هذه الأمة كانت لها السيادة والريادة والقوة في العالم أجمع يوماً ما ، وأن جحافل جيوشها قد اجتاحت بلادهم يوماً ما ، وأن دينها هو أساس قوتها وعزتها ووحدتها ولهذا عملوا دائماً على إبعادهم عن مصدر عزهم وقوتهم ووحدتهم بما يأتي :

١ – محاولة تشويه حقائق هذا الدين ، وطمس معالمه ومبادئه .

٢ – التشكيك في المصدر الثاني لهذا الدين ، وهو السنة المطهرة بإثارة الشبهات حولها .

٣ – التشكيك في المؤسسات الدينية المختلفة ومحاصرتها ، ومحاولة تغيير مناهج التعليم فيها .

٤ – التشكيك في علماء الإسلام بحجة أنهم أضحوا طلاب دنيا لا علماء دين حتى ينفضَّ الناس من حولهم .

٥ – إثارة البدع والخرافات التى من شأنها أن تشوه وجه الإسلام وتعتم إشراقته .

وهم كما يقول " كانتويل سميث " يودُّون لو يرون المسلمين مرتدين عن هذا الدين ، أو على الأقل يودعونه زاوية بعيدة عن حياتهم لا يقربونه أبداً " (١)

وهذا قول العزيز الحكيم : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ (٢) .

" ومنذ نهاية عهد الدولة العثمانية ١٩٢٤ م والتي مثلت آخر رموز وحدة الأمة ودولتها وهي تتخبط في دياجير انحرافاتها ، وتتردي في مستنقع سوآتها ، ولا ترى إلا ما يبهر عيونها ، أو تعود منكفئة على أسباب انحطاطها ، تجتر صديد أفكار عصور الانحطاط والانحراف ، ولم تواجه الأمر مواجهة عقلية وعلميه .. وفي غمار جهلها وغفلتها ، وإعراضها عن

---

(١) الإسلام في التاريخ الحديث .

(٢) سورة البقرة الآية رقم : ١٠٩ .

الحقائق القائمة على العقل والعلم لم تستفق من مهانتها بالاستعمار ، وهي تظن أنها مشرفة على الحرية والاستقلال ، إلا لتمضي في غباء الخطوط المرسومة لها من قبل أعدائها " [١] .

فلم يتركها العدو إلا بعد أن استخلف من بعده العملاء الذين ينفذون مخططاته ، ويحققون أهدافه وغاياته ، وينتقلون بالبلاد من الاحتلال العسكري إلي الاحتلال الفكري والثقافي .

وبذلك تم خروج المستعمر عسكريا وسياسياً ، ليجر وراءه الشعوب فكرياً وثقافياً .

واستطاع أذناب المستعمرين وعملاؤهم أن يحققوا ما لم يستطع العدو تحقيقه في بلادهم حيث حقق هؤلاء ما يأتي :

١ – تنفيذ ما أراده العدو ، مع توفير الدم والمال الذي كان يبذل في الحروب ، كما حدث في الحروب الصليبية وغيرها .

٢ – منع إثارة المشاعر الدينية ، أو الوطنية التى كانت تثور حين يري هؤلاء الجيوش الأجنبية الغازية وهي تتحدي قيمه الدينية – أو الوطنية ، ومن ثم أضعفت المقاومة ، بل منعتها .

٣ – إنها مع ادعاء الوطنية .. تنفذ المطلوب منها ، ليس فقط دون مقاومة ، بل مع استحسان الجماهير وحماستها أحياناً .. واتهام الآخرين بالتخلف والرجعية وعدم الوطنية ... الخ " [١] .

---

(١) إبراهيم بن علي الوزير / على مشارف القرن الخامس عشر الهجري / ١٦ دار الشروق ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

وهم يرون أن فكر الغرب وثقافته التي يمثلها أمثال : هيجل ، وكارل ماركس ، وفردريك نيتشه وسيجموند فرويد ، ومشيل فوكو ، وجان بول سارتر ، وصديقته سيمون دي بوفوار وغيرهم هي التي يجب أن تسود لأن الغرب هو صاحب الحضارة الغالبة اليوم ، فالغرب إذاً هو المعيار ، وحضارته هي الأساس لمحاكمة الحضارات وقياسها ، وعلى هذا الأساس أعملوا مباضعهم في تشريح تراث الإسلام ، لإبراز السلبيات ، وإغفال الإيجابيات ، ملقين بثقلهم الأكاديمي لإعطاء قيمة بخسه لتراثنا ، ودورنا الحضاري ، وبالتالي لتشويه الإسلام : عقيدة ، وشريعة ، وتاريخاً وحضارة ، لحساب الاستعلاء الغربي [٢] . والاستعمار الأجنبي .

حاضر العالم الإسلامي :

اتسعت الهوة بين الشرق الإسلامي المثخن بالجراح ، والمتخلف اقتصادياً ، وسياسياً ، وعسكرياً وتقنياً ... الخ ، والغرب الأوربي الذي يزداد كل يوم قوة وسطوة وسيطرة .

وتكاد تطبق آراء المفكرين والعلماء ، كل في مجال تخصصه ، على أن العالم العربي والإسلامي يمر اليوم بمنعطف تاريخي خطير ، ويجتاز ظرفاً دقيقاً ورهيباً يتوقف على نتائجه مستقبل الأمة وتاريخها .

---

(١) أساليب الغزو الفكري / ٥٢ – ٥٣ بتصرف .

(٢) د / أكرم العمري / التراث والمعاصرة / ٦٨ .

وأن الأمة الإسلامية تعيش اليوم أزمة حقيقية ، تعددت مظاهرها وظواهرها ، وتنوعت آثارها ونتائجها .

يراها الأخلاقيون وعلماء الدين أساساً في غيبة الإيمان والقيم عن واقع الناس وحياتهم : فالخواء الديني الذي يعيشه العالم الإسلامي ، وفقدان القيم والضمير الذي عصفت به أو كادت فوضي العصر ، وتحلله من ربقة القيم والمبادئ ، والخروج على كل موروث مهما كان نافعاً وصالحاً ، والسعي وراء المادة ، والتهالك على الدنيا ، وإيثار اللذة والمنفعة على غيرها .. هو في نظرهم أساس هذه الأزمة .

ويراها رجال الفكر والثقافة : أزمة في العقل والفكر والمعرفة:فتغيب الوعي والعقل عن واقع الأمة وحياتها وثقافتها ، واستخدام قوالب الفكر الجامدة ، ومناهج المعرفة غير الصالحة ، وإفساح المجال للجدل والدجل ، كل ذلك وغيره قد حال دون التجديد والتحديث والابتكار والإبداع .

هذا إلي جانب الوقوف في وجه المفكرين والمبدعين ، ومصادرة حرياتهم في الفكر والإبداع مما أدي إلي توقف حركات التجديد والتنوير .

ويراها العلماء : أزمة في العلم والتكنولوجيا ، والتقنيات الحديثة التى ما زلنا نلهث في جني ثمراتها والانتفاع بنتائجها ، دون أن تكون لنا إسهامات حقيقية فيها ، فنحن نستورد ونستهلك

فقط دون أن ننتج ، ودون أن تكون لنا مشاركات أو إسهامات في دنيا العالم الجديد .

ويراها رجال السياسة أزمة حرية وديمقراطية ، حيث تتحكم فئة قليلة متسلطة على مقدرات الشعوب ، لا يعنيها حرية شعوبها وتطورها بمقدار ما يعنيها المحافظة على كراسيها ووظائفها ولو كان ذلك ثمنه الاستبداد ، ومصادرة الحقوق والحريات ، بل والإطاحة بالرقاب ، والزج في غياهب السجون والمعتقلات ... الخ .

ويراها الاقتصاديون في المقام الأول أزمة اقتصادية : فضعف الموارد أو قلتها ، أو عدم إمكان الاستفادة منها ، والبطالة المقنعة وغير المقنعة ، وزيادة السكان ، وكثرة الاستيراد والاستهلاك كل ذلك وغيره في نظرهم هو أساس هذه الأزمة التى يعيشها عالمنا العربي والإسلامي اليوم .

ويراها البعض أزمة في الإعلام والتعليم ، فالتغريب عن واقعنا ، والتغريب عن الذات والدعوة إلي جذ الجذور ، وقطع الأصول ، والانصهار بالكلية في بوتقة التغريب ثقافياً وإعلامياً بحجة الحداثة والمعاصرة ، قد أفقدنا هويتنا ، وباعد بيننا وبين ذواتنا ، وأوقف الناس في حيرة بين ماضيهم الذي يراد لهم أن يتركوه جملة ، ومستقبلهم الذي أفقدهم هويتهم ولمّا يستطيعوا اللحاق به .

والمهم أن الجميع مطبق على وجود أزمة ، بل أزمات حقيقية ، تعيشها الأمة العربية والإسلامية وإن اختلفوا في سبب وجود هذه الأزمة وقيامها .

ونحن من جانبنا نري : أن كل ما تقدم يمثل جوانب الأزمة التى نعيشها اليوم ، وإن كان ضعف الإيمان وغيبة الضمير وعدم الثقة في الله والنفس على رأسها جميعاً .

التحديات التى تواجه الأمة :

أ - التحديات الداخلية :

أولاً : التخلف الموروث عن عصور التخلف والانحطاط والجمود الذي أصاب الأمة منذ قرون ، نتيجة تخلي المسلمين عن أسباب حضارتهم ونهضتهم ، والعيش مع ما أفرزته هذه العصور دون تجديد أو ابتكار ... وفي الوقت الذي يتقدم فيه الغير بخطي حثيثة واسعة ، تتأخر فيه الأمة بنفس النسبة ، حتى اتسعت الهوة بيننا وبينهم .

وهذا هو الذي مكن للغرب فرص النفاذ إلي قلب الأمة بخططه العدوانية التى تستهدف حرب الإسلام وتحطيم المسلمين ... وهذا هو ما عبر عنه المفكر المسلم : " مالك بن بني " وأسماه : بالقابلية للاستعمار .

ثانياً : الهزيمة النفسية التى أصابت الأمة نتيجة الهزائم المتكررة ، وفقدان الثقة في النفس والذات ؛ بل ومحاولة زرع

الهزيمة في نفوس الآخرين ، والرضي بالواقع على ألمه ومرارته ، والانبهار فقط بما وصل إليه العالم الغربي من تقدم مذهل ، واليأس من عدم إمكان ملاحقته حضارياً وثقافياً وتقنياً ... الخ ومن ثم كان الركون إليه في كل شيء ، بل والدعوة إلي تقليده في كل شيء .

ثالثاً : التفرق والتشرذم الذي أصاب بنيان الأمة ، نتيجة الصراعات الداخلية : السياسية ، والعسكرية،والثقافية،والحزبية ، والمذهبية ، والطائفية ، وعدم توحُّد الأمة وتعاونها في مواجهة الأخطار المحدقة بها ، والتي تتهدد كيانها ووجودها .

رابعاً : الاستبداد السياسي ، والديكتاتورية المستبدة ، من بعض الأنظمة الحاكمة الطاغية والظالمة والتي تعمل دائماً على إذلال الشعوب وقهرها ، ومصادرة حقوقهم في الحرية والعدل والمساواة ، والتعامل معها من منطلق القوة والسيطرة والنفوذ ، لا من منطلق الإقناع والحجة ، والقيام بالكذب عليهم ، وحجب الحقائق عنهم ، وعدم الشفافية والصراحة معهم .

خامساً : الهوة الواسعة بين النظرية والتطبيق ، وبين العقيدة والسلوك ، والازدواجية بين الفكر والواقع فنحن أمة تملك أعظم المبادئ ، وأفضل القيم ، وأسمي الأهداف ، ومع ذلك نعيش مع المفارقة التامة والقطعية الكاملة لهذه المبادئ والقيم والأهداف نتشدق بمثاليتها ونتغنى بها ، ومع ذلك نجد الأخلاق الشاذة ، والسلوك المنحرف ، والخروج على المبادئ والقيم .

سادساً : عدم وضوح الرؤية والهدف ، وعدم توحُّد الرأي نحو هدف محدد تنشده الأمة وتسعي إليه .

إننا نواجه اليوم اختلافاً كبيراً حول عدد من القضايا الكبرى التى لا يمكن للأمة أن تنطلق إلي المستقبل مع تجاوزها ، وبقائها معلقة دون حل ، وحلها يحتاج منا إلي رؤية واضحة ، وهدف محدد ، ولا شك أن الانقسام في الرأى ، والاختلاف في الرؤى والحيرة التى تتملك المفكرين والمثقفين من أين يبدأون ، وإلي أين يتجهون لكي يلحقوا بركب التقدم والتطور ، لا شك أنه يمثل تحدياً خطيراً لنا اليوم ، مما يشكل عقبة نحو التقدم ، ويفقدنا التخطيط للمستقبل ، ووضع الخطط والبرامج للعمل المستقبلي كما يفعل غيرنا .

ب – التحديات الخارجية :

أولاً : التحدي السياسي :

والذي يتمثل في قيام تكتلات سياسية عالمية قوية ، تلتقي على المصالح والأهداف المشتركة بينها في الوقت الذي نجد فيه – في العالم العربي ، فضلاً عن العالم الإسلامي – أنظمة سياسية متعددة ومختلفة : مختلفة في أنظمتها ، وفي توجهاتها ، وفي أهدافها .. تحكمها المصالح الضيقة ، وانشغالها بالداخل عن الخارج ، وبالمنافع والمصالح الذاتية عن الأهداف العليا للأمة .

مما كان سبباً في ضعفها ، وتهافتها ، وعدم مبالاة العالم بها ، نتيجة تفرقها وتشرذمها ، ونشوب الخلافات بينها ، وعدم إمكان

تجاوز هذه الخلافات ولو شكلياً أمام أنظار العالم كما نجد في المحافل الدولية ولقاءات القمة ، في الجامعة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، والأمم المتحدة وغيرها .

مما أدي إلي ضياع حقوقها ، واحتلال أرضها ، وانتهاك مقدساتها ، وتشريد شعوبها كما نجد في العراق وفلسطين مع انتهاك جميع القرارات الشرعية ، والمواثيق الدولية .

ثانياً : التحدي الاقتصادي :

والذي يتمثل في وجود تكتلات اقتصادية دولية ، وفي الدعوة إلي العولمة ، والاقتصاد الحر ، وفتح الأسواق ، واتخاذ البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، ومنطقة التجارة العالمية (الجات) أدوات للغرب في سبيل الهيمنة على العالم الثالث ، ومنه العالم العربي والإسلامي ومن ثم أصبحت الهيمنة الاقتصادية عن طريق البنوك ، والشركات ، والبورصات ، ورءوس الأموال وغيرها هي المتحكمة في الاقتصاد العالمي . ولذلك كله انعكاساته السلبية على العالم الثالث . .. وما زال المخلصون – منذ وقت طويل – ينادون بقيام تكتلات اقتصادية ، وينادون بقيام سوق عربية مشتركة في مواجهة التكتلات العالمية دون سميع أو مجيب .

ثالثاً : التحدي الفكري والثقافي :

ويتمثل ذلك في محاولة غزو العالم العربي والإسلامي غزواً فكرياً وثقافياً عن طريق وسائل الاتصال الحديثة ،

والسماوات المفتوحة ، والبث المباشر - (عن طريق الأقمار الاصطناعية) وعن طريق المراكز الفكرية والثقافية والإعلامية التى تعمل لحسابهم ، أو التي يتولاها بعض المستغربين الذين يعملون لحساب الغرب في بلادنا العربية والإسلامية ، والتي تعمل على محو الهوية الثقافية الإسلامية ، أو تهميشها ، وضرب القيم والمبادئ الإسلامية أو تسفيهها ، والإشادة بالثقافة الغازية وإعلاؤها على غيرها مما يمثل تحدياً خطيراً للقيم والدين والمبادئ والمثل الإسلامية الأصيلة .

رابعاً : التحدي الأمني والعسكري :

ويتمثل ذلك في محاولة العودة إلي سياسة الأحلاف العسكرية القديمة ، بما لذلك من تداعيات وتأثيرات خطيرة على الأمن والاستقرار في المنطقة العربية – ثم أخيراً في التحالف مع الشيطان (اعني مع أمريكا) .

ويتمثل من جانب آخر في وجود ترسانة نووية إسرائيلية في قلب العالم العربي لا تخضع لأية رقابة أو تفتيش من جانب الهيئات الدولية كما نجد في العراق ، وجنوب إفريقيا ، وكوريا الشمالية ، وإيران وغيرها .

والعمل على التفوق العسكري والحربي دائماً لإسرائيل على حساب الدول العربية جمعاء مما يهدد أمن واستقرار المنطقة ، ويمثل ذلك خطراً حقيقياً على الموارد البشرية والطبيعية في المنطقة العربية . وما تزال القوة الضاربة ، والأسلحة المحرمة

دولياً بأيدي الغرب يلوح بها لمن تسول له نفسه الخروج عليه . أو الاعتداء على أمنه في الوقت الذي يعمل فيه على حرمان غيره منها!!

إن ما تملكه إسرائيل اليوم من القنابل النووية ، والأسلحة البيولوجية ، والكيمائية ، والصواريخ الحاملة للرءوس النووية كأريحا (١) ٣٠٠ صاروخ ، وأريحا (٢) ٣٠٠ صاروخ أخري تبلغ قوة الصاروخ منها قوة القنبلة التى ألقيت على هيروشيما وناجازاكي ، فضلاً عن الصواريخ الدفاعية ضد الصواريخ ، وأجهزة الإنذار المبكر ، والأسلحة التقليدية من دبابات وطائرات وغواصات ومدفعية وغيرها يفوق ما تملكه الدول العربية قاطبة مما يهدد أمنهم ويقض مضاجعهم ، ويضر بمصالحهم .

وإنه لأمر مؤسف ومحزن حقاً أن نري هذه التحديات التي تواجه أمتنا وتواجه واقعنا ومستقبلنا ومصيرنا ، ثم ننشغل عنها بالمصالح القومية الضيقة ، حيث يعتدي بعضنا على بعض ، بل ويستعدي بعضنا غير المسلمين على إخوانهم من المسلمين ، بل وأدهي من ذلك كله أن يقتل بعضنا بعضاً لحساب غيرنا من غير المسلمين : خوفاً منهم ، أو تملقاً لهم ، أو طلباً لمنفعة أو مصلحة لديهم ، متذرعين بنفس الذرائع الواهية ، بل والمضللة التي يتذرع بها أعداؤهم : كالإرهاب والعنف وغيره مما يردده الأعداء ، وهم يعلمون علم اليقين أن معظم ما يسميه العدو إرهاباً وعنفاً هو دفاع ضد العنف والإرهاب الدولي الذي تمارسه القوي الغاشمة كأمريكا وإسرائيل : دفاعاً عن الدين والوطن ودفاعاً

عن العرض والشرف ، كما نجد في فلسطين وأفغانستان ، والشيشان ، والعراق ، ولبنان وغيرها ، أو انتفاضة ضد القهر والظلم الذي تمارسه بعض الأنظمة المتسلطة على شعوبها وأبنائها حتى بلغ الأمر بهم منتهاه من اليأس والإحباط إلي الحد الذي جعل الإنسان يفجر نفسه ويجعل منها قنبلة في وجه عدوه ، لأنه يري أن الموت والحياة سيان عنده ، بل الموت في شرف خير له من الحياة في مهانة ومذلة .

إن قلوبنا لتتقطع حسرة لما يجري على الساحة العربية والإسلامية وإن نفوسنا لتعتصر ألماً لما يفعله هؤلاء المتحالفون مع الشيطان على حرب أبنائهم وإبادتهم أو الزج بهم في غياهب السجون والمعتقلات تملقاً لهؤلاء الأعداء ، وعملاً على إرضائهم وإن قلوبنا لتتقطع حسرة وألماً لما تقوم به بعض الدول العربية والإسلامية من الهرولة إلي إرضاء أمريكا بالتقرب إلي ربيبتها إسرائيل في المنطقة على حساب الشعب الفلسطيني والشعوب المجاورة لها .

وإن قلوبنا لتتفطر حسرة وحزناً لهؤلاء الذين يحاولون استعداء أمريكا وغيرها على دولهم بحجة تحقيق الديمقراطية والحرية فيها – وهي دعوى حق يراد بها باطل – وهي في الحقيقة خيانة لبلدانهم وشعوبهم لأن الحرية لا تفرض من الخارج أو تملي من العدو ، ولنا مثل قريب لما يجري اليوم في العراق الشقيق .

إننا بذلك لا نقر عنفاً ولا إرهاباً وليس في الإسلام شيء منه ، وإنما فيه رد الظلم والعدوان ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (١) . ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ ﴾ (٢) .

فهل آن للأنظمة الحاكمة أن تصطلح على شعوبها وآن لهؤلاء المتعاونين مع الشيطان : أفراداً أو حكومات أن يعلموا انهم جميعاً مستهدفون منه . وأن التاريخ لن يرحمهم ، وأن الشعوب لن تغفر لهم ، وأن الله لن يرضي عنهم ، وأن يعلموا أننا جميعاً في خندق واحد أمام عدو يتربص بنا ، ويكيد لنا ، ويحاول الوقيعة والعداوة بيننا .. وهل تحجرت قلوب هؤلاء وهم يرون هذه النفوس البريئة من الأطفال والشيوخ والنساء التي تقتل ، والشباب الذي يذبح والأعراض التي تنتهك ، ثم نضع أيدينا في أيدي هؤلاء القتلة ، ونتعاون مع الشيطان ؟!

العلاج :

إننا نعيش اليوم في ظل نظام عالمي غير متوازن ، وفي محيط عالم تسوده القوة الطاغية والغاشمة وتحكمه الأثرة والأنانية ، وتحركه المصالح والمنافع الآنيّة ، بحيث أضحت الدول الضعيفة أو الفقيرة لقمة سائغة في فم الدول القوية ، حيث البقاء للأقوي كما تقول الداروينية ، والغاية تبرر الوسيلة كما

---

١ -سورة البقرة من الآية : ١٩٤ .

٢ -سورة الأنفال من الآية : ٦٤.

تقول الميكيا فيللية ، والمنفعة والمصلحة هي القيمة كما تقول البراجماتية .

ولكي يكون لنا مكان في هذا العالم وبقاء فيه لابد لنا من الصمود في معركة الصراع القائم فيها والبقاء في هذه المعركة لا يكون إلا للقوة : القوة السياسية ، والقوة الاقتصادية ، والقوة العسكرية والحربية ، والقوة الثقافية والحضارية...الخ ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾

وكل ذلك يقتضينا أن نرسم طريقنا إلي القوة . بما يأتي :

أولاً : العمل على توحُّد الأمة ، واحتواء الأخطار التى تهدد وحدتها ، وتؤدي إلي تفرقها وتمزقها وتشرذمها ، ورأب الصدع الذي أصاب بنيانها لسبب أو لغيره ، والتعالي على الخلافات الجانبية ، والصراعات الداخلية ، وتجاوز الماضي مهما كان مرًّا وأليماً .

ثانياً : إصلاح الأنظمة السياسية داخلياً وخارجياً بحيث تتحقق الحرية والديمقراطية والعدل والمساواة في الداخل ، وتتوحد الأنظمة السياسية في توجهاتها وأهدافها في الخارج .

ثالثاً : العمل من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي ، بزيادة الاستثمارات الداخلية في البلاد العربية والإسلامية التى لا يحتل الاستثمار فيها أكثر من ٨ % في مقابل ٩٢ % من الاستثمارات الخارجية والعمل على إنشاء السوق العربية المشتركة ، وتنمية

التجارة البينية ، بين الدول العربية والإسلامية وذلك في ظل التكتلات الاقتصادية العالمية ، ونظم العولمة الجديدة .

رابعاً : تفعيل دور وسائل الإعلام والاتصال ، وتوجيهها توجيهاً سليماً في خدمة قضايا الأمة وأهدافها المشتركة ، وإبراز قيم الأمة ومبادئها ، وإنشاء قنوات اتصال مباشرة بين الدول العربية والإسلامية ، وبين الأمة وغيرها من دول العالم لشرح قضايانا العادلة ، وقيم ديننا السامية لنقطع على الأعداء تخرصاتهم وافتئاتهم على الإسلام والمسلمين .

خامساً : إنعاش ذاكرة الأمة بتاريخها، وتراثها ، وأمجادها ، وحضارتها ، وقيمها ودينها ومبادئها لإبعاد الهزيمة النفسية عنها ، وعدم الانسحاب والهروب من معركة الحياة مهما كانت التكاليف والتضحيات .

سادساً : تجديد الفكر الإسلامي وتحديثه ، وتنقية التراث الإسلامي مما شابه أو علق به طيلة عصور الانحطاط ، وتطهيره من المعوقات ، والقضايا الهامشية الخلافية التى مزقت وحدة الأمة ، ويعتبر البحث فيها ضياعاً للوقت،واستنفاداً للهجد ، وتشتيتاً للذهن وترسيخاً للخلاف بحيث يواكب حركة الحياة وتطورها .

سابعاً : العمل الجاد للحاق بالدول المتقدمة تكنولوجيا وتقنيا ومحاولة اللحاق بها مهما كانت الصعاب والعقبات والتضحيات في سبيل ذلك حتى تتسع الهوة بيننا وبينها .

ثامناً : تفعيل دور المنظمات العربية والإسلامية كجامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها حتى تؤدي واجبها كما ينبغي في استعراض قضايا الأمة ، ومناقشتها ، والدفاع عنها ، ووقف أشكال الخلاف ، والمنازعات ، والانقسامات داخل الأمة ، والتي من شأنها أن توهن قواها وتبدد طاقاتها وتستنفذ مواردها .

تاسعاً : تحديد الأهداف ووضوح الرؤى : سياسياً ، واقتصادياً ، وثقافياً ، وإعلامياً والتخطيط لعمل عربي وإسلامي مشترك من أجل بناء مستقبل أفضل وأمة أقوي .

لقد حان الوقت الذي يجب أن ننشغل فيه بقضايا امتنا الكبرى ، وبمستقبلنا المشترك وبالبناء الحضاري الذي تتطلع إليه الأمة .

وما أحوجنا الآن ونحن نخوض اعتي معارك التحدي ، واقسي محاولات التذويب والتهميش أن نتذكر هذا الصمود العظيم ، والمواجهة الرائعة لشتى أنواع التحدي على مدي التاريخ الإسلامي حتى نستعيد ذواتنا المفقودة ، ونرفض الهزائم النفسية ، ونتعالى على منطق اليأس والإحباط والهروب .. فنحن مؤهلون اكثر من غيرنا للقاء المستقبل دون هروب .

إن ما تملكه الأمة من إمكانات هائلة يؤهلها لأن تتبوأ مكاناً لائقا بها في هذا العالم :

• فمن ناحية القوي البشرية:نجد المسلمين أكثر من $\frac{1}{5}$ سكان العالم ١٣٠٠ مليون نسمة أي أنهم يشكلون العدد الأكبر بالنسبة للأديان والقوميات في العالم،والمسيحية وإن كانت تشكل $\frac{1}{4}$ سكان العالم إلا أنهم موزعون – كما نعلم – على ديانات ثلاثة : الكاثوليك ، والأرثوذكس ، والبروتستنت ، وهي ديانات مختلفة في عقائدها ، وليست فرقاً أو مذاهب كما نجد في الإسلام .

• ومن ناحية الإمكانات الطبيعية : يملك العالم الإسلامي ثلثي إنتاج البترول والغاز في العالم أجمع إلي جانب المعادن الأخرى كالحديد والمنجنيز والفسوفات وغيرها .

ويقع على معظم بحار العالم كالمحيط الهادي ، والأطلسي ، والبحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، والخليج العربي وفيه أطول انهار العالم كنهر النيل ، وفيه انهار دجلة والفرات وغيرهما .

• ومن ناحية الأرض الزراعية الخصبة نجد في مصر ، والسودان ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب والعراق ، وباكستان وغيرها الكثير من الأراضي الزراعية الخصبة ، وفي السودان وحدها أكثر من ٢٠٠ مليون فدان من الأرض الصالحة للزراعة يمكن أن تكون سلة غذاء للعالم العربي كله .

• ومن ناحية المساحة الجغرافية التى يسكنها العالم الإسلامي نجدها تسكن في نحو ٣٥ مليون كم متربع يسكن العرب منها ١٣,٠٠ مليون كم .

فإذا علمنا أن الصين التى يبلغ تعدادها اكثر من ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠مليون نسمة يسكنون في ٩,٠٠ مليون كم وأن دول الخليج وعددها نحو ٢٨ مليون نسمة يسكن أهلها في مساحة تعدل مساحة الصين التى يسكنها مليار نسمة رأيناكم هي سعة الأرض العربية والإسلامية .

وإذا علمنا أن ميزانية دول الخليج وحدها تبلغ اكثر من ٢٥٠ مليار دولار في العام رأينا كم هو دخل الفرد في مقابل غيرها من الدول الفقيرة الأخرى .

إننا في حاجة إلي أن نستعيد ذواتنا ، وإلي أن تستعيد الأمة دورها الحضاري والريادي على الصعيد العالمي والإنساني ، والقيام بأعباء الخلافة في الأرض وفق منهج الله تعالي أداء للأمانة ، وإبلاغاً للرسالة ، وتحقيقاً لخيرية هذه الأمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

والله ولي التوفيق

أ.د/ عبد الرحمن محمد المراكبي
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة